

أبلغ من الحقيقة « - فما يكون وضع الدين والفلسفة في تاريخ فكري ، أي في تاريخ الحقيقة يكتبه الكلام المجازي ؟ إن في هذا السؤال ما يكشف عن جانب آخر من السبب الكامن وراء الفصل بين الشعر والفكر ، في نظامي المعرفة العربيين : الديني والفلسفي . فهذان النظامان يهتمان ، كل وفقاً لطريقته الخاصة ، بما يسميانه الحقيقة ، وبما له معنى واضح محدد . وليس في المجاز غير الاحتمال . ومن هنا يصف النظام المعرفي الديني المجاز بأنه إحالة للألفاظ عن معانيها المعهودة . وهو إذن تحريف للكلمات عن مواضعها . وهذا التحريف يفسد المعاني ويفسد اللغة ، لأنه يولد الضلال والباطل . خصوصاً أن الألفاظ وضعها الخالق ليعبر كل لفظ عن المعنى الخاص به ، وإحالتها تعني إبطال الحقائق التي أراد الخالق أن ندرکها . والصواب إذن هو أن نحمل اللفظ على المعنى الموضوع له أصلاً ، أما الخطأ فهو حمله على غير المعنى الذي وضع له . وواضح أن هذا القول لا يبطل المجاز وحده ، وإنما يبطل كذلك الشعر .

وفي هذا ما يوضح الفرق بين أفق المعرفة الشعرية ، وأفق المعرفة الدينية والفلسفية . فهذه ترى أن المعنى يجب أن يعبر عنه باللفظ الدال على الحقيقة ، لكي يحصل كمال العلم له ، من جميع وجوهه . أما الأولى فتري أن النفس إذا لم تعرف تمام المقصود من الكلام ، تشوّقت إلى تمامه ، ولو عرفت تمامه ، لبطل التشوق إلى تحصيل الكمال . فالغاية مما نعلمه أن يبعث فينا الشوق إلى ما لا نعلمه - أي إلى أن نتردد معرفتنا كمالاً .